لمعة الاعتقاد

الهادي إلى سبيل الرشاد

للإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي

– رحمه الله –

معهد علوم التأصيل

شبكة إمام دار الهجرة العلمية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحمود بكل لسان ، المعبود في كل زمان ، الذي لا يخلو من علمه مكان ، ولا يشغله شأن عن شأن ، جل عن الأشباه والأنداد ، وتنزه عن الصاحبة والأولاد ، ونفذ حكمه في جميع العباد لا تمثله العقول بالتفكير ولا تتوهمه القلوب بالتصوير: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : 11]

له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝ ﴾ [طه : 5 – 7]

أحاط بكل شيء علماً ، وقهر كل مخلوقٍ عزةً وحكماً ، ووسع كل شيء رحمة وعِلْماً ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝ ﴾ [طه : 110].

موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم ، وعلى لسان نبيه الكريم .

وكل ما جاء في القرآن ، أو صحَّ عن المصطفى عليه السلام من صفات الرحمن وجب الإيمان به ، وتلقيه بالتسليم والقبول ، وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل ، وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظاً ، وترك التعرض لمعناه ، ونرد علمه إلى قائله ، ونجعل عهدته على ناقله ، اتباعاً لطريق الراسخين في العلم الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ ﴾ [آل عمران : 7]

وقال في ذم مبتغي التأويل لمتشابه تنزيله : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ ﴾ [آل عمران : 7]

فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزيغ ، وقرنه بابتغاء الفتنة في الذم ، ثم حجبهم عما أمَّلوه ، وقطع أطماعهم عما قصدوه ، بقوله سبحانه : ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ﴾ [آل عمران : 7]

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ﷺ في قول النبي ﷺ ﴿ إِنَّ الله يَنْزِلُ إلى سَمَاءِ الدُّنْيَا ﴾ ، أو ﴿ إِنَّ الله يُرَى فِي القِيَامَة ﴾ ، وما أشبه هذه الأحاديث : "نؤمن بها ، ونصدق بها ، لا كيف ، ولا معنى ، ولا نرد شيئاً منها ، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق ، ولا نرد على رسول الله ﷺ ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾ [الشورى : 11]".

ونقول كما قال ، ونصفه بما وصف به نفسه ، لا نتعدى ذلك ، ولا يبلغه وصف الواصفين ، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت ، ولا نتعدى القرآن والحديث ، ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ وتثبيت القرآن.

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ﷺ "آمنت بالله وبما جاء عن الله ، على مراد الله ، وآمنت برسول الله ، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ".

وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رضي الله عنهم ، كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات ، لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله.

وقد أُمرنا بالاقتفاء لآثارهم ، والاهتداء بمنارهم وحذرنا المحدثات ، وأخبرنا أنها من الضلالات ، فقال النبي ﷺ ﴿ عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِن بَعدِي ، عَضُّوا عَلَيهَا بِالنَّواجِذِ ، وَإِيَّاكُم وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ﴾ .

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ : " اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم " .

وقال عمر بن عبد العزيز ﷺ كلاما معناه : " قف حيث وقف القوم ، فإنهم عن علم وقفوا ، وببصر نافذ كفوا ، وهم على كشفها كانوا أقوى ، وبالفضل لو كان فيها أحرى ، فلئن قلتم : حدث بعدهم ، فما أحدثه إلا من خالف هديهم ، ورغب عن سنتهم ، ولقد وصفوا منه ما يشفي ، وتكلموا منه بما يكفي ، فما فوقهم محسر ، وما دونهم مقصر، لقد قصر عنهم قوم فجفوا ، وتجاوزهم آخرون فغَلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم ".

وقال الإمام أبو عمر الأوزاعي ﷺ : " عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس ، وإياك وآراء الرجال ، وإن زخرفوه لك بالقول ".

وقال محمد بن عبد الرحمن الأدرمي لرجل تكلم ببدعة ودعا الناس إليها : "هل علمها رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، أو لم يعلموها ؟ قال : لم يعلموها ، قال : فشيء لم يعلمه هؤلاء أعلمته أنت ؟ قال الرجل : فإني أقول : قد علموها ، قال : أفوسعهم أن لا يتكلموا به ، ولا يدعوا الناس إليه ، أم لم يسعهم ؟ قال : بلى وسعهم ، قال فشيء وسع رسول الله ﷺ وخلفاءه لا يسعك أنت ؟ فانقطع الرجل . فقال الخليفة – وكان حاضرا – : لا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم" .

وهكذا من لم يسعه ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان والأئمة من بعدهم والراسخين في العلم من تلاوة آيات الصفات وقراءة أخبارها وإمرارها كما جاءت ، فلا وسع الله عليه .

فمما جاء من آيات الصفات قول الله ﷻ : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾[الرحمن : 27]

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة : 64]

وقوله تعالى إخبارا عن عيسى عليه السلام أنه قال : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ ﴾ [المائدة : 116]

وقوله سبحانه : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر : 22]

وقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة : 210]

وقوله تعالى : ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾ [المائدة : 119]

وقوله تعالى : ﴿ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة : 54]

وقوله تعالى في الكفار : ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الفتح : 6]

وقوله تعالى : ﴿ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ ﴾ [محمد : 27]

وقوله تعالى : ﴿ كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ ﴾ [التوبة : 46] .

ومن السنة ، قول النبي ﷺ ﴿ يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا ﴾ .

وقوله : ﴿ يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَت لَهُ صَبوَةٌ ﴾ .

وقوله : ﴿ يَضحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَينِ قَتَلَ أَحَدُهُمَا الآخَرَ ثُمَّ يَدْخُلَانِ الجَنَّةَ ﴾ .

فهذا وما أشبهه مما صح سنده وعدِّلت رواته ، نؤمن به ، ولا نرده ، ولا نجحده ، ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره ، ولا نشبهه بصفات المخلوقين ، ولا بسمات المحدثين ، ونعلم أن الله سبحانه وتعالى لا شبيه له ولا نظير:﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١ ﴾ [الشورى : 11]

وكل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله تعالى بخلافه.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه : 5]

وقوله تعالى : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [تبارك : 16]

وقول النبي ﷺ ﴿ رَبُّنَا اللهُ الذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسمُكَ ﴾

وقال للجارية : ﴿ أَينَ اللهُ ؟ قالت : فِي السَّمَاءِ. قال : أَعتِقهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ ﴾ رواه مالك بن أنس ، ومسلم ، وغيرهما من الأئمة .

وقال النبي ﷺ لحصين : ﴿ كَمْ إِلَهاً تَعْبُدُ ؟ قال : سَبْعَة ، سِتَّةٌ فِي الأَرْضِ وَوَاحِداً فِي السَّمَاء . قال: مَنْ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ ؟ قال الذِي فِي السَّمَاءِ ، قال: فَاتْرُك السِّتَةَ واعْبُدِ الذِي فِي السَّمَاءِ ، وَأَنَا أُعَلِّمُكَ دَعْوَتَينِ ، فأسلم ، وعلمه النبي ﷺ أن يقول : اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي ، وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي ﴾ .

وفيما نُقِل من علامات النبي ﷺ وأصحابه في الكتب المتقدمة : "أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم في السماء" .

وروى أبو داود في سننه أن النبي ﷺ قال : ﴿ إِنَّ مَا بَينَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ كَذَا وَكَذَا . . . ﴾ . وذكر الخبر إلى قوله : ﴿ وَفَوقَ ذَلِكَ العَرشُ ، والله سُبحَانَهُ فَوقَ ذَلكَ ﴾ .

فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف رحمهم الله على نقله وقبوله ، ولم يتعرضوا لرده ولا تأويله ، ولا تشبيهه ولا تمثيله.

سئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقيل : يا أبا عبد الله : ﴿ ٱلرَّحۡمَـٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝ ﴾ [طه : 5] كيف استوى ؟ فقال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة . ثم أمر بالرجل فأخرج .

فصل

ومن صفات الله تعالى أنه مُتَكَلِّمٌ بكلام قديم يَسْمَعُهُ منه من شاء من خلقه ، سَمِعَهُ موسى عليه السلام منه من غير واسطة ، وسمعه جبريل عليه السلام ، ومن أذن له من ملائكته ورسله.

وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه ، ويأذن لهم فيزورونه ، قال الله تعالى :

﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ۝ ﴾ [النساء : 164].

وقال سبحانه : ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِي وَبِكَلَـٰمِي ﴾ [الأعراف : 144].

وقال سبحانه : ﴿ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ ﴾ [البقرة : 253].

وقال سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ [الشورى : 51]

وقال سبحانه : ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢ ﴾ [طه : 11 - 12]

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي ﴾ [طه : 14]

وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه " إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء " ، روى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وروى عبد الله بن أُنَيس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ يَحْشُرُ اللهُ الخَلَائِقَ يومَ القِيَامَةِ عُرَاةً حُفَاةً غُرْلًا بُهْماً ، فَيُنَادِيهِم بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَن بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَن قَرُبَ : أَنَا المَلِك أَنَا الدَّيَّان ﴾ ، رواه الأئمة واستشهد به البخاري.

وفي بعض الآثار: أن موسى عليه السلام ليلة رأى النار فهالته ففزع منها فناداه ربه : "يَا مُوسَى"، فأجاب سريعا استئناسا بالصوت ، فقال: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ ، أَسْمَعُ صَوْتَكَ وَلَا أَرَى مَكَانَكَ ، فَأَيْنَ أَنْتَ ؟ فقال: " أَنَا فَوْقَكَ وَأَمَامَكَ وَعَن يَمِينِكَ وَعَن شِمَالِكَ " ، فعلم أن هذه الصفة لا تنبغي إلا لله تعالى . قال: كَذَلِكَ أَنْتَ يَا إِلَهِي ، أَفَكَلَامَكَ أَسْمَعُ ، أَمْ كَلَامُ رَسُولِكَ ؟ قال: " بَلْ كَلَامِي يَا مُوسَى " .

فصل

ومن كلام الله سبحانه: القرآن العظيم ، وهو كتاب الله المبين ، وحبله المتين ، وصراطه المستقيم ، وتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين ، بلسان عربي مبين ، منزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود.

وهو سور محكمات وآيات بينات وحروف وكلمات من قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات ، له أول وآخر وأجزاء وأبعاض ، متلو بالألسنة محفوظ في الصدور ، مسموع بالآذان مكتوب في المصاحف ، فيه محكم ومتشابه ، وناسخ ومنسوخ ، وخاص وعام ، وأمر ونهي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت : 42]

وقوله تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء : 88]

وهذا هو الكتاب العربي الذي قال فيه الذين كفروا : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ [سبأ : 31]

وقال بعضهم : ﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [المدثر : 25]

فقال الله سبحانه : ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المدثر : 26] وقال بعضهم : هو شعر؛ فقال الله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ [يس : 69]

فلما نفى الله عنه أنه شعر وأثبته قرآنا لم يبق شبهة لذي لب في أن القرآن هو هذا الكتاب العربي الذي هو كلمات وحروف وآيات ؛ لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد : إنه شعر.

وقال ﷻ ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : 23] ،

ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل ما لا يدري ما هو ولا يعقل ،

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓۖ ﴾ [يونس : 15]

فأثبت أن القرآن هو الآيات التي تتلى عليهم .

وقال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَۚ ﴾ [العنكبوت : 49]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الواقعة : 77 – 79] ، بعد أن أقسم على ذلك

وقال تعالى : ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ﴾ [مريم : 1] ، ﴿ حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ ﴾ [الشورى : 1 – 2] ، وافتتح تسعا وعشرين سورة بالحروف المقطعة .

وقال النبي ﷺ ﴿ " مَن قَرَأَ القُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرفٍ مِنهُ عَشرُ حَسَنَاتٍ ، وَمَن قَرَأَهُ وَلَحَن فِيهِ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٌ ﴾ حديث صحيح .

وقال عليه الصلاة والسلام : ﴿ اقْرَأُوا القُرْآنَ قَبلَ أَن يَأْتِيَ قَومٌ يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ إِقَامَةَ السَّهمِ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُم، يَتَعَجَّلُونَ أَجرَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ ﴾ .

وقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما : "إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه".

وقال علي رضي الله عنه: "من كَفَر بحرف منه فقد كَفَر به كلِّه.

واتفق المسلمون على عد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه .

ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفا متفقا عليه أنه كافر ، وفي هذا حجة قاطعة على أنه حروف .

فصل

والمؤمنون يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم ، ويزورونه ، ويكلمهم ويكلمونه.

قال الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة : 22 – 23]

وقال تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [المطففين : 15]

فلما حجب أولئك في حال السخط دل على أن المؤمنين يرونه في حال الرضى ، وإلا لم يكن بينهما فرق.

وقال النبي ﷺ ﴿ إِنَّكُم سَتَرَونَ رَبَّكُم كَمَا تَرَونَ هَذَا القَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤيَتِه ﴾ حديث صحيح متفق عليه.

وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية ، لا للمرئي بالمرئي ، فإن الله تعالى لا شبيه له ولا نظير .

فصل

ومن صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد ، لا يكون شيء إلا بإرادته ، ولا يخرج شيء عن مشيئته ، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره ، ولا يصدر إلا عن تدبيره ، ولا محيد عن القدر المقدور ، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور ، أراد ما العالم فاعلوه ، ولو عصمهم لما خالفوه ، ولو شاء أن يطيعوه جميعا لأطاعوه ، خلق الخلق وأفعالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم ، يهدي من يشاء برحمته ، ويضل من يشاء بحكمته ، قال الله تعالى : ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء : 23]

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر : 49]

وقال تعالى : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [الفرقان : 2]

وقال تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ ﴾ [الحديد : 22].

وقال تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [الأنعام : 125].

وروى ابن عمر أن جبريل ﷺ قال للنبي ﷺ : ﴿ " مَا الإِيمَانُ ؟ قَالَ : أَنْ تُؤمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَومِ الآخِرِ وَبِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ ، فقال جبريل : صَدَقتَ . ﴾ رواه مسلم .

وقال النبي ﷺ ﴿ آمَنتُ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ وَحُلوِهِ وَمُرِّهِ ﴾

ومن دعاء النبي ﷺ الذي علمه الحسن بن علي يدعو به في قنوت الوتر : ﴿ وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيتَ ﴾ .

ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه ، بل يجب أن نؤمن ، ونعلم أن لله علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل ، قال الله تعالى : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾ [النساء : 165]

ونعلم أن الله سبحانه وتعالى ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك ، وأنه لم يجبر أحدا على معصية ، ولا اضطره إلى ترك طاعة ،

قال الله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾ [البقرة : 286]

وقال تعالى : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ [التغابن : 16]

وقال تعالى : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ ﴾ [غافر : 17].

فدل على أن للعبد فعلا وكسبا يجزى على حسنه بالثواب ، وعلى سيئه بالعقاب ، وهو واقع بقضاء الله وقدره .

فصل

والإيمان قول باللسان ، وعمل بالأركان ، وعقد بالجنان ، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ [البينة : 5]. فجعل عبادة الله تعالى وإخلاص القلب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كله من الدين.

وقال رسول الله ﷺ : « الإِيمَانُ بِضعٌ وَسَبعُونَ شُعبَةً ، أَعلَاهَا شَهَادَةُ أَن لَا إِلَه إِلَّا اللهُ ، وَأَدنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ » .

فجعل القول والعمل من الإيمان ، وقال تعالى : ﴿ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ [التوبة : 124]

وقال : ﴿ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا ﴾ [الفتح : 4]

وقال رسول الله ﷺ « يَخرُجُ مِنِ النَّارِ مَن قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَفِي قَلبِهِ مِثقَالُ بَرَّةٍ أَو خَردَلَةٍ أَو ذَرَّةٍ مِنَ الإِيمَانِ » فجعله متفاضلا .

فصل

ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ وصح به النقل عنه فيما شاهَدناه أو غاب عنا ، نعلم أنه حق وصِدق ، وسواء في ذلك ما عَقَلناه وجَهِلناه ، ولم نطلع على حقيقة معناه ، مثل حديث الإسراء والمعراج وكان يقظة لا مناما فإن قريشا أنكرته وأكبرته ، ولم تنكر المنامات .

ومن ذلك أن ملك الموت لما جاء إلى موسى عليه السلام ليقبض روحه لطمه ففقأ عينه فرجع إلى ربه فرد عليه عينه .

ومن ذلك أشراط الساعة : مثل خروج الدجال ، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتله . وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج الدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، وأشباه ذلك مما صح به النقل .

وعذاب القبر ونعيمه حق وقد استعاذ النبي ﷺ منه ، وأمر به في كل صلاة .

وفتنة القبر حق ، وسؤال منكر ونكير حق ، والبعث بعد الموت حق ، وذلك حين ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور : ﴿ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [يس : 51].

ويُحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما ، فيقفون في موقف القيامة حتى يشفع فيهم نبينا محمد ﷺ ، ويحاسبهم الله – تبارك وتعالى – وتنصب الموازين ، وتنشر الدواوين وتتطاير صحائف الأعمال إلى الأيمان والشمائل : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الانشقاق : 7 – 12].

والميزان له كفتان ولسان توزن به الأعمال : ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [المؤمنون : 102 – 103] .

ولنبينا محمد ﷺ حوض في القيامة ، ماؤه أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأباريقه عدد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا .

والصراط حق يجوزه الأبرار ، ويزل عنه الفجار.

ويشفع نبينا ﷺ فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر ، فيخرجون بشفاعته بعدما احترقوا وصاروا فحما وحمما ، فيدخلون الجنة بشفاعته.

ولسائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة شفاعات . قال تعالى : ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنبياء : 28].

ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين .

والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان ، فالجنة مأوى أوليائه ، والنار عقاب لأعدائه ، وأهل الجنة فيها مُخَلَّدون : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الزخرف : 74 – 75].

ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح ، فيذبح بين الجنة والنار ، ثم يقال : ﴿ يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ وَلَا مَوت وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ وَلَا مَوْت ﴾ .

فصل

ومحمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين وسيد المرسلين ، لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ، ويشهد بنبوته ، ولا يقضى بين الناس في القيامة إلا بشفاعته ، ولا يدخل الجنة أمة إلا بعد دخول أمته.

صاحب لواء الحمد والمقام المحمود والحوض المورود ، وهو إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم ، أمته خير الأمم ، وأصحابه خير أصحاب الأنبياء عليهم السلام.

وأفضل أمته أبو بكر الصديق ، ثم عمر الفاروق ، ثم عثمان ذو النورين ثم علي المرتضى – رضي الله عنهم أجمعين – لما روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : ﴿ كُنَّا نَقُولُ وَالنَّبِي ﷺ حَيّ : أَفضَلُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ فَيَبلُغُ ذَلكَ النَبِيَّ ﷺ فَلَا يُنكِرُهُ ﴾

وصحت الرواية عن علي ﷺ أنه قال : " خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ولو شئت سميت الثالث ".

وروى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال : ﴿ مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَا غَرَبَت بَعدَ النَّبِيِّينَ وَالمُرسَلِينَ عَلَى أَفْضَلَ مِن أَبِي بَكرٍ ﴾ .

وهو أحق خلق الله بالخلافة بعد النبي ﷺ لفضله وسابقته ، وتقديم النبي ﷺ له في الصلاة على جميع الصحابة رضي الله عنهم ، وإجماع الصحابة على تقديمه ومبايعته ، ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة.

ثم من بعده عمر ﷺ لفضله وعهد أبي بكر إليه.

ثم عثمان ﷺ لتقديم أهل الشورى له.

ثم علي ﷺ لفضله وإجماع أهل عصره عليه .

وهؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال رسول الله ﷺ فيهم : ﴿ عَلَيْكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهدِيِّينَ مِن بَعدِي عَضُّوا عَلَيهَا بِالنَّوَاجِذِ ﴾ .

وقال ﷺ ﴿ الخِلَافَةُ مِن بَعدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً ﴾ فكان آخرها خلافة علي ﷺ .

ونشهد للعشرة بالجنة كما شهد لهم النبي ﷺ فقال : ﴿ أَبُو بَكرٍ فِي الجَنَّةِ ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ ، وَعُثمَانُ فِي الجَنَّةِ ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ ، وَطَلحَةُ فِي الجَنَّةِ ، وَالزُّبَيرُ فِي الجَنَّةِ ، وَسَعدٌ فِي الجَنَّةِ ، وَسَعيدٌ فِي الجَنَّةِ ، وَعَبدُ الرَّحمَنِ بنُ عَوفٍ فِي الجَنَّةِ ، وَأَبُو عُبَيدَةَ بنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ ﴾ .

وكل من شهد له النبي ﷺ بالجنة شهدنا له بها كقوله : ﴿ الحَسَنُ وَالحُسَينُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهلِ الجَنَّةِ ﴾

وقوله لثابت بن قيس : ﴿ إِنَّهُ مِن أَهلِ الجَنَّةِ ﴾ .

ولا نجزم لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار إلا من جزم له الرسول ﷺ لكنا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء .

ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ، ولا نخرجه عن الإسلام بعمل.

ونرى الحج والجهاد ماضيا مع طاعة كل إمام ، برًّا كان أو فاجرا ، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة .

قال أنس : قال النبي ﷺ ﴿ ثَلَاثَةٌ مِن أَصلِ الإيمَان : الكَفُّ عَمَّن قَال : لَا إِلَه إِلَّا الله ، وَلَا نُكَفِّرُهُ بِذَنبٍ ، وَلَا نُخرِجُهُ مِنَ الإِسلَامِ بِعَمَلٍ ، وَالجِهَادُ مَاضٍ مُنذُ بَعثَنِي الله ﷻ حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَتِي الدَجَّالَ ، لَا يُبطِلُهُ جَورُ جَائِرٍ ، وَلَا عَدلُ عَادِلٍ ، وَالإِيمَانُ بِالأَقدَارِ ﴾ رواه أبو داود.

ومن السنة تولي أصحاب رسول الله ﷺ ومحبتهم وذكر محاسنهم ، والترحم عليهم ، والاستغفار لهم والكف عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم . واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [الحشر : 10]

وقال تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾ [الفتح : 29] ، وقال النبي ﷺ ﴿ لَا تَسُبُّوا أَصحَابِي فَإِنَّ أَحَدَكُم لَو أَنفَقَ مِثلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِم وَلَا نَصِيفَه ﴾ .

ومن السنة : الترضي عن أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين المطهرات المبرآت من كل سوء ، أفضلهن خديجة بنت خويلد ، وعائشة الصديقة بنت الصديق ، التي برأها الله في كتابه ، زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة ، فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم .

ومعاوية خال المؤمنين ، وكاتب وحي الله ، أحد خلفاء المسلمين رضي الله عنهم .

ومن السنة : السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين – برهم وفاجرهم – ما لم يأمروا بمعصية الله ، فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله.

ومن وَلِيَ الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به ، أو غلبهم بسيفه حتى صار الخليفة ، وسمي أمير المؤمنين ، وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين .

ومن السنة : هجران أهل البدع ومباينتهم ، وترك الجدال والخصومات في الدين ، وترك النظر في كتب المبتدعة ، والإصغاء إلى كلامهم ، وكل محدثة في الدين بدعة .

وكل متسم بغير الإسلام والسنة مبتدع ، كالرافضة والجهمية والخوارج والقدرية والمرجئة والمعتزلة والكرامية والكلابية ونظائرهم ، فهذه فرق الضلال ، وطوائف البدع ، أعاذنا الله منها .

وأما بالنسبة إلى إمام في فروع الدين ، كالطوائف الأربع فليس بمذموم ، فإن الاختلاف في الفروع رحمة ، والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم ، مثابون في اجتهادهم ، واختلافهم رحمة واسعة ، واتفاقهم حجة قاطعة .

نسأل الله أن يعصمنا من البدع والفتنة ، ويحيينا على الإسلام والسنة ، ويجعلنا ممن يتبع رسول الله ﷺ في الحياة ، ويحشرنا في زمرته بعد الممات برحمته وفضله آمين .

وهذا آخر المعتقد والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .